من صحيح ا

تقديم

أناهير بنت عبي

غفر الله لها ولوا

١٤٣٦ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الحادي عشر

تابع بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن والسنّة الذين ينهجون منهج نبيهم -صلَّى الله عليه وسلَّم- في الاعتصام بالكتاب والسنّة.

ولا زلنا في هذا المجلس المبارك نتابع دراستنا في كتاب الاعتصام من صحيح البخاري، وقد وصلنا إلى الباب الخامس. في مجمل دراستنا السابقة وصلنا لأمر مهم: أن من أراد النجاة فليس له إلا أن يتمسّك بحبل الله، وحبل الله هو: الكتاب والسنّة. والاعتصام ليس مجرد دعوى، يعني يقول العبد: "أنا متمسّك بالكتاب والسنّة ومنهجي الكتاب والسنّة!" الاعتصام ليس دعوى؛ لأن من صفات المنافقين أنهم: يدّعون الحقائق، ومن صفات

المؤمنين أنهم: يحققون الحقائق. المنافقون يدّعون الحقائق فيقولون: "نحن نريد الصلاح، نحن متمسّكون بالكتاب والسنّة"، أما أهل الإيمان فليسوا أهل دعوى، إنما أهل تحقيق، من يقول: "أنا معتصم بالكتاب والسنّة"؛ ترى أثر الكتاب والسنّة في كل مسلكه ابتداءً باهتمامه أن يتعلم الكتاب والسنّة، وانتهاءً بأن تجد أثر ما تعلمه على تصرفاته، ثم تجده إن لم يعلم شيئًا، سأل عنه، ثم تجده إذا سأل لا يتعمق ولا ينازع في العلم، ولا يغلو، ولا يدخل في البدع.

معنى ذلك أن المتمسّك بالكتاب والسنّة، عليه أن يتمسّك وتظهر آثار تمسّكه واضحًا عليه، لنعد أربع صفات للمتمسّك بالكتاب والسّنة:

الصفة الأولى: المتمسّك بالكتاب والسنّة يستغني بهما عن غيرهما، فلا يعتمد منهجًا يدلّه على الحق إلا الكتاب والسنّة.

الصفة الثانية: المتمسّك بالكتاب والسنّة يتعلم الكتاب، يتعلم السنّة. وترك تعلم الكتاب والسنّة والانشغال بغيرهما دليلٌ على أن الإنسان ليس صادقًا في تمسّكه إنما يدّعي دعوى، يكون الإنسان

كاذبًا إن وجدته في كل مناهج الحياة معجبًا بفلان وفلان الذين سماهم الله في سورة البينة (شَرُّ الْبَرِيَّةِ)، كيف تدّعي الاعتصام بالكتاب والسنّة وقلبك مليء بفلان وفلان؟! كيف يُعجب (خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) بـ (شَرُّ الْبَرِيَّةِ)؟! وإن تكلمت عن حالهم في الدنيا، فكأنك تحقق قوله تعالى في وصفهم: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[1] ، ويقول تعالى: (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[2]، ماذا فعل الله فيهم؟ نسيهم بما نسوا يوم اللقاء.

فالصادق يستغني بكتاب الله وسنّة رسول الله عن أي شيء آخر غير الكتاب والسنّة، والمقصد: أن نستغني بهما في كل شيء يُصلح النفس أو المجتمع، أما ما يُصلح الحضارات، فهذا حقٌ لكل مُجِد، لكن في النهاية لابد أن تعلموا أن من كانوا قبلنا (كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا)[3] ، ثم ماذا حصل لهم؟ هلكوا! وأبقى الله من آثارهم ما أبقى؛ ليقول لك إنه ليس إعمار الأرض هو المقصود، بل إعمار النفس بتزكيتها

---

[1] () الروم: 7.
[2] () السجدة: 14.
[3] () الروم: 9.

والوصول بها للنجاة، واعلم أن هذه النفس التي خلقها الله هو الذي دلّنا كيف نزكيها. ومصدرك للنجاة هو الكتاب والسنّة، فعليك أن تتعلم الكتاب والسنّة تعلمًا صحيحًا يورثك اليقين، وليس أن تحفظ الألفاظ على لسانك وقلبك خالٍ من المعاني! الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- وصف هؤلاء القوم قال: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، وعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[4]، يعني يخرجون من الدين كما يخرج السهم إذا دخل مسرعًا في صيدٍ، ثم خرج من الجهة الأخرى، ولا يبقى عليه آثار، وهذا كان في الدين يصلي ويصوم ويقرأ القرآن، لا يجاوز حنجرته، فيخرج من الدين.

المقصد أن من يعتصم بالكتاب والسنّة يتعلّمهما كما يجب، يتعلّمهما تعلّمًا يوصله لليقين؛ ولذلك الله -عزَّ وجلَّ- لما وصف بني إسرائيل الذين اصطفاهم في زمانهم قال: (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

[4]() أخرجه البخاري (5058).

يُوقِنُونَ)[5] ، اليقين بآيات الله، سواء كلام الله أو كلام رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

الصفة الثالثة: أنه إذا تعلم الكتاب والسنّة، لابد أن تظهر له أسئلة، فعليه أن يسأل عن الكتاب والسنّة، يسأل من يكون ثقة على منهج صحيح، قال الله وقال رسوله، وتظهر عليه آثار متابعة السنّة، لا أن يتابع أهل الفلسفة، وغالب من يتكلم ولم تظهر عليه آثار السنّة، غالبًا يدخل في الفلسفة ويعتبر الدين أحد أنواع الفلسفة التي قد ينقلها للناس كما يفكر!

إذًا يسأل عما لا يعلم، مثلًا وهو يقرأ سورة البينة لابد أن يقول لنفسه: "ما معاني الآيات التي سمعتها؟ ما معنى (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ)[6]، مَن هم (شَرُّ الْبَرِيَّةِ)،(خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)؟"، تسمع في كل السورة إلى آخرها من هم (شَرُّ الْبَرِيَّةِ)،(خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)، فهل لديك إحساس بأن المؤمنين هم خير البرية، وأي أحد آخر غيرهم هو شر البرية؟ هل هذا في عقيدتك؟

---

[5]() السجدة: 24.

[6]() البينة: 1.

فهذا هو المقصود بقولنا إنه يجب على مَن يتعلم، أن يقرأ، ويفهم، وتكون لديه حالة من اليقين بما يسمعه. ثم إن لم يفهم شيئًا، فعليه أن يسأل عن الكتاب والسنّة، يسأل الأحياء الذين يعلم أن لديهم علمًا، ويمكن أن يقرأ كتب العلماء الأموات مثلًا في التفسير، نفترض أنك تريد أن تفهم آية من كتاب الله، فالحمد لله كتب التفسير التي على منهج أهل السنّة والجماعة متوفرة، أصحابها موتى، لكن بإمكانك أن تستفيد منها.

الصفة الرابعة: إذا سألت كن حذرًا، لا تتعدَّ في السؤال، يعني اسأل: "ما أسماء الله؟ ما صفات الله؟" لكن لا تسأل عن كيفية الصفات. تعلم عن الغيب وما في الجنة وأحوال أهل النار، لكن لا تسأل: "كيف يكون؟" فهذا الحدود تُبعدك عن الضلال، في مقابل أن أهل الباطل المشركين لما أتاهم خبر أن هناك شجرة في النار، قال تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)[7] ، قالوا بعقلهم: "كيف تكون شجرة في النار؟!" فيرون بعقولهم ويطبقون قانون الأرض على اليوم الآخر! فيقولون: "أول شيء تفعله النار أنها ستأكل الشجرة!"

[7]() الصافات: 64-65.

الجواب: إن شأن الآخرة ليس مثل شأن الدنيا، والغيب ليس داخلًا تحت قوانين الشهادة، وما تدركه بعقلك، لا يصح أن تحكم به في الأمور الغيبية.

بهذا نفهم أنه يحق لك أن تسأل، لكن هناك حدودًا في السؤال. ما هي الحدود في السؤال؟ كل ما يزيد إيمانك وتحتاجه في العمل، هو الذي تسأل عنه، وقد ضربنا مثلًا بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، يقينًا من حديث رسول الله الصحيح، ما تحتاجه من هذه المعلومة: أن تعلم ماذا يعود عليك نزوله؟ يعود عليك أنه يناديك...إلى آخر ما نعلم من النص. حينئذ ماذا تفعل؟ تقوم الليل، وإن كسلت فعندما تتقلب على فراشك افعل ما أمر به النبي: «مَن تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ.»[8] ، ففعليك أن تتفاعل مع ما تسمع، ولا

[8]() أخرجه البخاري (1154).

تسأل: "كيف؟" لأن "كيف؟" لا تزيدك في الإيمان. إذًا أسئلتنا ستدور حول ما يزيد الإيمان.

بذلك انتهينا من صفات المعتصم بالكتاب والسّنة، ووصلنا إلى الباب الخامس وبدأنا في محاذير للمعتصم بالكتاب والسّنة، قال:

)بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ))

إذًا ما هو الممنوع على المعتصم بالكتاب والسنّة؟ هذه الأمور الخمسة التي ذكرها في العنوان:

الأمر الأول: التعمق يعني عندما تتعلم وتسأل، من الخطأ أن تأتي إلى ما تعلمته وتتعمق فيه، بمعنى تبذل جهدك لتفهم شيئًا لا يزيدك إيمانًا، وقد اتفقنا على أن هذا التعمق كان في الأحاديث مثاله ما سمعناه عن علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- في الحديث الثاني:

خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍّ وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: "الْمَدِينَةُ

حَرَمٌ مِنْ عَيْرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا "، وَإِذَا فِيهِ: " ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا"، وَإِذَا فِيهَا: "مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا".

ما سبب الحديث؟ سببه أن قومًا قد تعمّقوا في نظرهم في عليّ -رضي الله عنه- ورأوا أن صلة القربى بينه وبين النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- تجعل النبي يخصّه بشيء من العلم، فكان جواب عليّ -رضي الله عنه على المنبر- أن قال: (وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ)، ثم نشر الصحيفة وقال ما فيها، وهو كلام رسول الله وهو معلوم عند الصحابة.

إذًا التعمق معناه: أن يتشدد الإنسان في تفكيره، ويخمن أمورًا ويرتبها ويظنها ويستدل عليها! مثلما قالت النصارى في حق عيسى -عليه السلام-، وصلوا من التعمق إلى الغلو! يعني بقوا

يفكرون كيف وُجد عيسى -عليه السلام-؟ إلى أن وصلوا فقالوا: "هو ابن الله!"

ما هو المطلوب؟ لا الجهل هو المطلوب ولا التعمق هو المطلوب، لابد أن نضع أنفسنا في المكان الصحيح؛ لأن بعض الناس يرى نفس طلب العلم نوع من أنواع التعمق! وطلب العلم قربة إلى الله، ولا يمكن أن تكون معتصمًا بالكتاب والسنّة إلا عندما تطلب العلم، لكن عندما تطلبه لا تتجاوز بتفكيرك ما ورد في النصوص، مثلًا يقرأ أحدهم آيات في كتاب الله، ثم هو يفهم من فهمه أمرًا ويرتب على فهمه أمور، وهو جاهل، لم يطلب العلم ولم يسأل، ثم إذا أتته إجابات يقول: "عقلي لا يقبلها!" والسبب: أنه ابتدأ بالتعمق قبل أن يتعلم.

المقصد: أن المعتصمين لا يتعمقون، لا يتشددون عندما يتعلمون.

الأمر الثاني: التنازع، من صفتهم إن تعلموا ألا يتنازعون، وهذا الأمر موجود وواضح خصوصًا عند أنصاف المتعلمين، الآن يتعلمون، هذا تعلم عند فلان وقال حكمًا، والآخر عند فلان

وقال حكمًا، تجدهم عندما يلتقون يتنازعون! وهذا وصف الجهال؛ لأن المتعلم علمًا صحيحًا ينظر للدليل نظر من يراه هو الذي يدله، فإذا اختلف مع أحد في مسألة، عليه بالنظر في دليله، يعني هو استدل بأي شيء حتى يقرر هذه المسألة؟ فإن كان لديه دليلٌ بقي عليك أن تجمع بين الدليلين، نضرب مثالًا: تحية المسجد في وقت النهي، بعد صلاة الفجر والعصر، تحية المسجد فيها خلاف: هناك من يقول: "صلِّ وإن كان وقت نهي"، وهناك من يقول: "لا تصلِّ إن كان وقت نهي"، وكلاهما اعتمد على نفس الدليلين،

- الذي نهى عن الصلاة في هذا الوقت؛ فلأنه ورد عن النبي النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، فرأوا أن هذا الدليل يقول: "لا تصلِّ أي شيء حتى تحية المسجد".

- الذي أباح صلاة تحية المسجد في هذا الوقت؛ فلأن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»[9] فمعناه صلِّ وإن كان وقت نهي.

[9]() أخرجه البخاري (1167)، ومسلم (714).

فكلا الطرفان أخذوا نفس الأدلة، معنى ذلك أن الأمر في هذا واسعٌ، فلا تتنازع مع أحد، إنما ما يجعل بينك وبين الناس تفريق: هي المسائل التي تتصل بالعقيدة، يعني عندما يأتي من يغلو في صفات الله، فهذا لابد أن يكون بينك وبينه حدٌّ، لكن التنازع في العلم غالبًا ما يأتي إلا من الجهال؛ ولذلك من كلام علي -رضي الله عنه-: "العلم نقطةٌ كثّرها الجاهلون"، فكلٌ يتكلم من عنده والمسألة تكون تامة الوضوح، لكن التنازع هو الذي يُذهب ببركة المسائل، زاد هذا التنازع مع وجود الإعلام، فأصبح الإعلام بدلًا من أن يحل المشاكل في كونه يسمعك الحق، يزيد مسألة التنازع؛ لأن هذا يسمع هذا، وذاك مفكر، وذاك يتفلسف، وذاك يتكلم على هواه، وهذا يتكلم بالحق. فكل واحد من هؤلاء يسمعه الناس، ففي النهاية المجالس في البيوت أو الاجتماعات، أصبح كل فرد فيها مجادلًا عمّا سمع، فيحصل التنازع.

إذًا كلما زاد العلم، كلما انتفى التنازع، متى يحصل التنازع؟ عندما يكونون جهالًا؛ ولذلك تجد مسائل اتفق فيها الإمام أحمد والشافعي، والناس فيها جهالٌ! ولا يعلمون قول الأئمة: "إذا صح

الحديث فهو مذهبي"، فيأتي الناس يتعصّبون لكلامهم والأئمة بأنفسهم لا يتعصّبون لكلامهم! ولكن هذا كله من الجهل.

إذًا المعتصم لا يتعمق ولا ينازع ولا يصل إلى:

الأمر الثالث: الغلو، والتعمق هو الذي يوصل الناس إلى الغلو.

الأمر الرابع: البدع، المعتصم من أهم صفاته: ما يتعدّى الكتاب والسنّة، فلا يدخل في البدع أبدًا، يعني يبذل جهوده أن يتعلم السنّة ويفعلها.

وهناك أمر في مسألة البدع وهو: ليس كل ما لا تعلمه أنت فهو بدعة، المشكلة أن خوفنا من البدع وصّل بعض الناس إلى ظنهم أن ما لا يعلمونه يصبح بدعة! مثل حينما يأتيك حديث لم تسمعه سابقًا، فتقول: "هذا الحديث لم أسمعه من قبل!" وهذا من الأخطاء، وتقع خصوصًا من الصغار كونهم يتعجلون ويحسبون أن ما يعلمونه هو الحق، وما يعلمه غيرهم ليس بصائب! فيحصل التنازع وتبديع الناس. كلما ظهر أمر تحتاج فيه أن تتبين، اسأل أهل العلم.

نبدأ بدراسة الحديث الثالث:

• حدثنا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَنَعَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- شَيْئًا تَرَخَّصَ وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً".

← هذا موقف فيه أن بعض الصحابة رأوا أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ترخّص في أمور، يعني فعل أفعالًا على خلاف العزيمة، فكيف نظروا؟ هم تنزّهوا عن ترخصه، بمعنى أنهم تركوا وابتعدوا عن ترخص النبي، فكأن تركهم يعني أنهم أتقى من النبي! فهذه حالة من التعمق، فكان قول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً) يعني هناك بعض النفسيات كلما كان الأمر أشد عندها، كلما كان هذا دليل التقوى، يعني عندما يشددون على أنفسهم يعتقدون أن هذا دليل التقوى.

نعود ونقول: "هذا سببه الجهل"، الجاهل هو الذي لا يعلم سنّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فمن ثمّ عندما يقع عليه أمر، يختار الأشد على نفسه وليس ما اختاره النبي، فهؤلاء القوم يذكرونا بحديث: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي.»[10] ، هم كأنهم يتنزّهون عن أفعال فعلها النبي، وكان لهم عذر في نفوسهم أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قد غُفر له ما تقدم من ذنبه، فمن ثمّ رأوا أنهم لا يفعلون مثله بل أكثر منه، فرد النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- على هذه الشبهة الشيطانية فقال: (أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ

[10]() أخرجه مسلم (1401).

وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي) فسمع أصحاب النبي هذا الكلام، وعلموا أن الحق في السير على منهجه؛ لأنه أعلمهم بالله وأشدهم خشية، وليس لأنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يظنون أن أفعاله أقلّ من أفعالهم والمطلوب منهم أن يفعلوا أكثر من فعله.

نعود ونقول: "المشكلة في الجهل" لأن من تعلم سنّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- واعتقد أن سنّته تكفي السائر ورائه إلى أن ينجو، ما تقدم بين يدي النبي وما تأخر، إنما يأخذ ما ورد عن النبي، فليس المقصود من الدين التكلف ولا التعمق ولا التشدد، ولا التساهل والاستهتار! المطلوب أن ترى النبي -صلَّى الله عليه وسلّم- قائدًا وأنت تابعٌ له، لا تلتفت عنه يمنة ولا يسرة، ولا تتقدم بين يديه، بل من تقدم بين يدي النبي هلك، وسيأتينا ما يدل على أن التقدم يؤدي إلى الهلاك.

• حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ أَشَارَ أَحَدُهُمَا

بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَنَزَلَتْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (عَظِيمٌ)

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.

← هذه القصة تحكي موقفًا بين عمر -رضي الله عنه- وأبي بكر-رضي الله عنه- والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهذا ابن أبي مليكة تابعي من كبار التابعين يحكي عن ابن الزبير هذه القصة يقول:

(كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ) لماذا؟ (لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ) وكان من عادة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن كل وفد يؤّمَر عليه أمير، ثم هذا الأمير هو الذي يتكلم، وكان من عادة النبي أن يشاور أبا بكر وعمر،

لكن في هذا الموقف لم يشاورهم بعد، هم أخذوا من الموقف المعتاد أنهم يعيّنون أميرًا، فـ (أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ) والذي يظهر أن من أشار بالأقرع هو عمر -رضي الله عنه-.

(وَأَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِه) يعني اختلفوا من يكون أمير هذا الوفد ليتكلم بين يدي النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

(فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلَافِي) هذا الموقف بين يدي النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

(فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ -ما كنت أريد أن أخالفك- فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-) والنبي لا يكلمهم ساكت.

(فَنَزَلَتْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (عَظِيمٌ)) إن رفعوا أصواتهم فوق صوت النبي؛ تحبط أعمالهم؛ ولذلك قال في أول الحديث: (كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا) لأنهما كانا في مجلس النبي وحصل منهما رفع صوتهم الحسي في مجلس النبي

-صلَّى الله عليه وسلَّم-، في نقاش بينهم، وليس اعتراضًا على دين الله، بل على مسألة تخصّهم، فلما نزلت الآية.

(قال ابن أبي مليكة: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.) يعني كأنه يقول للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- سرًا، خوفًا من أن يتقدم بين يدي النبي، ثم يحبط عمله.

هذا الخبر يقول: "إذا كانوا يناقشون مسألة لا تخص الدين، إنما تتصل بالدنيا أمام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ورفعوا أصواتهم، وهما من هما! أبو بكر وعمر، وكادا أن يحبط عملهما! فكيف بحال الناس عندما يتقدمون بين يديّ سنّة النبي؟! وكيف عندما يعترضون على الأحكام؟! وكيف عندما يفلسفون الأمور؟ وكيف عندما يسمعون خبرًا فيقولون: "إن كان النبي موجودًا بيننا، ما قال بذلك!" وكأنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- ليس برسول من رب العالمين (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[11] "

[11]() الملك: 14.

إذًا كونهما تنازعا في مسألة لا تتصل بالدين أمام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فكادا أن يهلكا، فكيف بمن يتنازع في شأن قد أقره النبي في دين الله؟! وكيف بمن يتنازع في كلام الله؟! معنى ذلك أن هذا كأنه وسْم الهلاك؛ ولذا لا يعلم العبد كيف يخرج الإيمان من قلبه! يكون الإنسان مصليًا، قائمًا، عابدًا وقارئًا للقرآن، ومع ذلك يكون فاقدًا لقلبه، ولا يجده! ويكون السبب: أنه تمر عليه النصوص أو الأحاديث، فيتقدم بين يديّ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ فيهلك ويذهب قلبه. ومثل هذا كثير، يعني تجد الاعتراض على دين الله، تجد عدم قبول أوامر الله ونواهيه، وأحيانًا حتى الأخبار التي نسمعها عن أحوال الآخرة وعمّا يكون في الآخرة، يحصل من الناس أن يتكلموا فيها بما لا يعلمون، وهذا كله تقدمٌ بين يدي الله ورسوله وتنازع في دين الله.

إذًا المعتصم حاله: أنه لا يتقدم بين يديّ الله ورسوله، بل يكون خلفهم، يرى كلام الله وكلام رسوله يقودانه للنجاة، لا يتقدمهما، والتقدم هنا يعني التقدم المعنوي، يعني: يحكم بعقله على كلام الله وكلام رسوله، يفنّد كلام الله وكلام رسوله على رأيه، وعلى

ثقافته، وعلى رأي فلان وفلان. وهذا كله سبب للهلاك وهو خلاف الاعتصام.

نرى الآن موقفًا لعائشة -رضي الله عنها- يدل على مسألة التنازع:

• حدثنا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قَالَ فِي مَرَضِهِ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ، فَقَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ "، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ"، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.

← هذه القصة بين عائشة -رضي الله عنها- والرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- ثم أدخلت حفصة، في نهاية القصة قالت حفصة لعائشة: (مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.)

الشاهد: أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تنازع النبي في أن يقف أبو بكر مصليًا بالناس والنبي -صلى الله عليه وسلم- مريض.

قال النبي: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) وهو -صلَّى الله عليه وسلَّم- قائد هذه الأمة والأعلم بمصلحتها والأمر بأن يصلي بالناس دليل على أن الخلافة من حقه. هذا دليل واضح في كونه أمّره على الناس.

(قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ) من جهة الوصف، فهذا الوصف صحيح؛ لأنه مما عُرف عن أبي بكر أنه رجل بكّاء وإن صلَّى بالناس بكى، لكنها ماذا أرادت؟ صرحت في بعض الأحاديث: أنها خافت من أن يتشاءم الناس من أول مَن يقف بدل النبي، يعني يربطون موت النبي بأبي بكر، فيجدون في أنفسهم شيئًا من أبي بكر، فخافت على أبيها، فبقيت تنازع النبي، وقالت: (فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ)، فعاد

عليها النبي: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)، فما توقفت عن الحيلة فذهبت لحفصة، (فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) يعني ستتكلم عن والدها الآن، أن يأمره بأن يصلي.

(فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ") ما وجه الشبه؟ في كونهم يكيدون، يريدون شيئًا، فيجتمعون على الكيد، هذا ليس كما اتفق، يعني النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- متنبّه لأن كلام حفصة إنما كان من تلقين عائشة.

(فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.) هنا الموقف فيه اعتراض من عائشة -رضي الله عنها- على النبي ومنازعة، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- من رأفته ورحمته بها، أنه لم يرد عليها ردًا جافيًا، إنما كرر الأمر، لكن يكفي أن وصفهن بأنهن صواحب يوسف، دلالة على أن التنازع بين يديّ النبي أمر مذموم، وهذا كله كما ترون في أمر يُعتبر يسيرًا وليس في أمر

شرعي أو حكم، فكيف إن كان في حكم؟! فكيف يكون حال من اعترض وتقدم بين يدي الله ورسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

ننتقل للحديث التالي:

• حدثنا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَ عُوَيْمِرٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَيَقْتُلُهُ، أَتَقْتُلُونَهُ بِهِ؟ سَلْ لِي يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَسَأَلَهُ فَكَرِهَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- الْمَسَائِلَ وَعَابَ، فَرَجَعَ عَاصِمٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- كَرِهَ الْمَسَائِلَ، فَقَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لَآتِيَنَّ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَجَاءَ -وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ خَلْفَ عَاصِمٍ- فَقَالَ لَهُ: "قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ قُرْآنًا"، فَدَعَا بِهِمَا فَتَقَدَّمَا فَتَلَاعَنَا، ثُمَّ قَالَ عُوَيْمِرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمْسَكْتُهَا، فَفَارَقَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بِفِرَاقِهَا، فَجَرَتِ السنّة فِي الْمُتَلَاعِنَيْنِ، وَقَالَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "انْظُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْمَرَ قَصِيرًا مِثْلَ وَحَرَةٍ فَلَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ

كَذَبَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَعْيَنَ ذَا أَلْيَتَيْنِ فَلَا أَحْسِبُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا"، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ.

← هذه القصة تحتاج أن نفهما جيدًا لنتصور كيف أن التعمق والتنازع قد يُسبب للإنسان الابتلاء.

هذه القصة لها وجهان فيما يحكي الرواة:

وجه: أن عويمر، أتى إلى عاصم بن عدي، قبل أن يقع من زوجته الزنا، وسأل سؤالًا كأنه فقط من تفكيره: (أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَيَقْتُلُهُ، أَتَقْتُلُونَهُ بِهِ؟) الذي يظهر في بعض الروايات أن هذا ما حصل، إنما كان يفكر في مثل هذا، وكأنه في تعبيرنا "رجل موسوس"، فهو يفكر في المسألة ويتعمق فيها، أنه إن دخلت ووجدت مع زوجتي رجلًا وقتلته أتقتلونني؟

قال: (سَلْ لِي يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، -يعني عويمر طلب من عاصم أن يسأل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم- فَسَأَلَهُ فَكَرِهَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- الْمَسَائِلَ وَعَابَ) يعني كأنه عابها من جهتين:

- عاب نفس السؤال أن يُرسَل به أحد! كيف يرسل سؤالًا يخص الأعراض واتهام بالزنا، مع أحد؟
- أو يكون عاب عليه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- من جهة أن افتراض أمور مثل هذه، ليس من العقل!

(فَرَجَعَ عَاصِمٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- كَرِهَ الْمَسَائِلَ، فَقَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لَآتِيَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم -أقسم أن يأتي للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم- فَجَاءَ) للنبي في مجلسه وسأله أمام الناس! وقال نفس الكلام، فهذا السؤال فيه شيء من القباحة أمام الناس، وفيه شيء من التسرع، فعاب عليه النبي وما ردّ وانصرف الرجل، ولما انصرف في روايات أخرى أنه وجد زوجته مع رجل.

(وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ) يعني بعد انصرافه، وقع الأمر، ثم قال النبي إن الله قد أنزل فيهم قرآن، فدعاهما وحصل التلاعن، إلى آخر القصة.

شاهدنا في مسألتين:

المسألة الأولى: من التعمق السؤال عن أمر لم يقع، كأن الإنسان يتبادر به، إنما تسأل عما يزيد إيمانك أو تسأل عن أمر وقع، وتحتاج أن تعلم ما تفعله.

المسألة الثانية: كونه نازع النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، يعني كره النبي المسألة وعابها وانصرف عاصم، فعاد مرة أخرى للنبي، وتكلم في مجلسه، وأيضًا النبي ما رد عليه. فكأنه يقال: عندما يكون العبد في أدب مع الله ومع رسوله ومع دين الله، يعطيه الله على هذا الأدب الحسنات وإصلاح الحال، وعندما يكون هناك تعدٍّ وتسرّع، يُخشى على العبد أن يقع عليه ما تلفّظ به.

إذًا نُهينا عن التعمق والتنازع، إنما نسأل عما نحتاجه ويزيدنا إيمانًا.

ننتقل للحديث التالي:

- حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ النَّصْرِيُّ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: انْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ أَتَاهُ حَاجِبُهُ[12] يَرْفَا،

[12]() حاجبه: الحاجب: النواب. (انظر: لسان العرب، مادة: حجب).

فَقَالَ[13]: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ يَسْتَأْذِنُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ،

فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا،

فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ؟ فَأَذِنَ لَهُمَا،

قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ اسْتَبَّا،

فَقَالَ الرَّهْطُ -عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ،

فَقَالَ: اتَّئِدُوا، أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قَالَ: "لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ".

يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- نَفْسَهُ؟ قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ،

فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ،

قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فِي هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ) الْآيَةَ، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه

[13]() لأبي ذر وعليه صح: "قال".

وسلَّم-، ثُمَّ وَاللَّهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَبَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ، وَكَانَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ، فَعَمِلَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بِذَلِكَ حَيَاتَهُ، أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ،

ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ: أَنْشُدُكُمَا اللَّهَ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وَأَنْتُمَا حِينَئِذٍ -وَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ- تَزْعُمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِيهَا كَذَا، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وَأَبِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وَأَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي وَكَلِمَتُكُمَا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ، جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي نَصِيبَكَ مِنِ ابْنِ أَخِيكِ، وَأَتَانِي هَذَا يَسْأَلُنِي نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ تَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ،

وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مُنْذُ وَلِيتُهَا، وَإِلَّا فَلَا تُكَلِّمَانِي فِيهَا، فَقُلْتُمَا ادْفَعْهَا إِلَيْنَا بِذَلِكَ، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ، أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟ قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ،

فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ،

قَالَ: أَفَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ، فَوَالَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهَا.

← مجمل الحديث أن عليًا -رضي الله عنه- و عمه العباس -رضي الله عنه- تنازعا في مسألة وحكم بينهما عمر -رضي الله عنه-، وأورد البخاري هذا الحديث هنا ليبيّن أن من طبيعة الناس أن يحصل بينهم تنازع، لكن من عاد إلى الكتاب والسنّة وجعلها هما الحاكمان عليه، يقف عندهما.

يعني حصول التنازع في العلم أمر ممكن، لكن المطلوب حال حصول التنازع: أن يقف الناس عند دين الله ويسألون ويستفتون ولا يتحول الأمر إلى عداوات؛ لأن التنازع في الدين، يجعله الشيطان أداة تشتعل في قلوب الناس؛ فيصلوا للعداوة بينهم،

لدرجة أن في الأمة الإسلامية وصل الحال في بعض العصور، وحتى العصور القريبة أقل من 50 سنّة، إلى أن الجماعة الذين هم أتباع المذهب الحنبلي يصلون في جهة، وأتباع المذهب المالكي يصلون في جهة أخرى، وأتباع المذهب الحنفي في جهة أخرى، وأتباع المذهب الشافعي في جهة أخرى! حتى أتى الملك فيصل -رحمه الله- وجمعهم على إمام واحد، ومثل هذا كان موجودًا في ديار المسلمين إلى عهد قريب، لماذا هذه العداوات؟! هل هذه العداوات كانت بين الأئمة أنفسهم الذين كانوا يقولون: "الدليل هو مذهبي"؟ لا، إنما بين الأتباع الذين يتنازعون في العلم. إذًا الشيطان يتخذ التنازع في الدين والعلم وسيلة لزرع العداوات بين المسلمين.

نسأل الله أن ينجينا من وسواس الشيطان، ويجعلنا من أهل السنّة والجماعة، اللهم آمين!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته